

ثقافة أبي تمام اللغوية

د . عامر خلف طعمة

جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم اللغة العربية

المقدمة

الواقع الثقافي واللغوي في عصر الشاعر

لم يكن العرب في أي عصر من عصور التاريخ منعزلين عن جاورهم من حضارات ، ففي عصر ما قبل الإسلام كانت أسباب الاتصال قائمة بينهم وبين ثقافات الأمم المعاصرة لهم ، عن طريق التجارة والمجاورة ، وكانت الأسواق والمواسم التي تقام في بلادهم مناسبات يتعرفون من خلالها على المنجزات الحضارية لتلك الأمم ، فقد كان من بين من يؤم هذه الأسواق أناس من بلاد فارس وبلاد الروم ، جاء في المحبر : إن كثيراً من تجار الأمم المحيطة ببلاد العرب ينتقلون إلى الجزيرة العربية ، ولاسيما التجار الفرس الذين كانوا يوافون سوق المشقر ((يقطعون البحر إليها ببياعاتهم))^(١) .

وثمة أسباب أخرى للاتصال كانت قائمة بين العرب وبين الأمم الأخرى ، منها وجود جاليات أجنبية تنتمي إلى أجناس مختلفة من روم ونبط وفارس وأحباش وأصحاب ديانات ، كانت تنزل في قلب جزيرة العرب وفي مدنها خاصة ، وقد كان أفرادها يقومون بمطالب الحياة الاجتماعية في تلك المدن ، فمنهم التجار ومنهم العبيد والخدم ومنهم أصحاب دور اللهو وحانات الخمر ، ونتيجة لهذه الأسباب مجتمعة كان من الطبيعي أن تتأثر لغة العرب بلغات هذه الأقوام ، وقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتابه البيان والتبيين إلى هذه الناحية حين تحدث عما علق بلغة أهل المدينة من الألفاظ الفارسية نتيجة لنزول أهلها بين ظهرانيهم^(٢) .

على أن مما تنبغي الإشارة إليه أن قبائل العرب لم تكن على درجة واحدة في مستوى تأثرها بلغات الأقوام الأجنبية ، إذ إن عامل القرب أو البعد من تخوم بلاد العجم ، فضلاً عن عوامل أخرى تتصل بطبيعة حياة تلك القبائل ، ومدى قربها أو بعدها من حياة البداوة ، واستقرارها اجتماعياً ولغوياً ، كان يلعب دوراً مهماً وأساسياً في نقاء لغتها أو عدمه ، الأمر الذي جعل علماء اللغة يأخذون عن هذه القبيلة ولا يأخذون من تلك لمخالطتها أقواماً تتكلم بلغات أخرى^(٣) ، ولكن كما يبدو فإن أثر ذلك الاختلاط على اللغة كان محدوداً ، إذ لم يتعد نقل بعض الألفاظ المتصلة بأدوات الحضارة المادية ، وقد استطاعت اللغة العربية أن تطوعها لقوانينها الخاصة في الأعراب والبناء ، وظلت اللغة عند العرب سليقة جُبِلُوا عليها ، ولذلك ندر أن نسمع عن عربي أنه لحن في كلامه في هذا العصر ، وهذا وحده سبب كافٍ لتعليق عدم ظهور محاولات لوضع قواعد اللغة فيه .

وبعد مجيء الإسلام ودخول أمم كثيرة من غير العرب فيه ، واختلاط العرب بها اختلاطاً تجاوز مجرد الاحتكاك إلى المصاهرة والعيش معاً في الأمصار المفتوحة ، أدى ذلك إلى ضعف السليقة اللغوية ، فبدأت بوارد اللحن تظهر^(٤) ، وقد كان اللحن وحاجة الأمم الأجنبية إلى تعلم العربية لتفقه دينها الجديد وتفهم أحكامه سببين أساسيين في ظهور النحو بصورته التي نعرفها ، إذ كان ((الغرض الأساسي منه في مبدأ الأمر ضبط القواعد التي يسير عليها إعراب المفردات ، ليسهل تعلمها وتعليمها واحتداؤها في الحديث والكتابة ، ولتعصم الناس من اللحن))^(٥) .

ومنذ مطلع القرن الثاني الهجري احتضنت الحواضر الإسلامية الكبرى الدراسات النحوية التي أخذ نطاقها يتسع ليشمل ((الموضوعات المتصلة بأجزاء الجملة وترتيبها ، وأثر كل جزء منها في الآخر ، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض وأقسام الكلمة ، وأنواع كل قسم منها ووظيفته في الدلالة))^(٦) ، وأصبح الصرف علماً متميزاً بعد أن كانت مسائله تعالج استطراداً ضمن مسائل النحو^(٧) .

وقد اضطلع بمهمة النهوض بهذه الدراسات جمهرة كبيرة من علماء العربية ، شكلت جهودهم نواة لمدارس تميزت من بعضها البعض في النظر إلى مسائل اللغة .

وازدهرت إلى جانب علمي النحو والصرف علوم ذات طبيعة أدبية ودينية ، كعلوم البلاغة ، والنقد الأدبي ، وعلوم القراءات ، وعلم المعاجم الذي ابتداءً بعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) لمعجمه العين^(٨) ، وظهرت أيضاً علوم أخرى لا عهد للعرب بها قبل هذا العصر ، بدأت تنمو وتزدهر بتأثير الثقافات الوافدة كعلم الكلام والفلسفة والمنطق .

في هذا الجو المشبع بروح العلم نشأ شعراء بني العباس فعلموا من روافد تلك الثقافات ونهلوا ، وأول هذه الثقافات كانت الثقافة اللغوية ، إذ ((كانت علوم اللغة بتفرعاتها الدقيقة تمثل القيمة الثقافية الأولى في المجتمع يحرص عليها الجمهور ويحرص عليها الحكام ، لما لها من صلة وثيقة بالعقيدة الدينية))^(٩) .

الشاعر

كان أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) أشعر الناس في وقته وأعلاهم مكانة في فن الشعر ، ويدل شعره على هذه المكانة ، وعلى رهافة حسه ، ولم يكن ذلك بالأمر الغريب ، فقد خلق هذا الرجل شاعراً ، وكانت ملكة الشاعر المثقف فيه قوية ، ثم رَقَّ ذوقه وسما فنه ، وتعمق إحساسه بهذا الفن وبالأساليب ، فكان عالماً في الشعر^(١٠) واللغة^(١١) ، يعرف كيف يضع الألفاظ في مواضعها معوِّلاً في ذلك على ذوقه وعلمه في الفصل بين استعمال وآخر .

واللغة هي أداة الشاعر يصنع منها صورته ويعبر من خلالها عن معانيه ، وبقدر حدقه في التعامل معها يكون الحكم عليه بالنجاح أو عدمه ، وإذا كان الذوق هو الفيصل الذي يحتكم إليه الأديب في عمله ، فإن أبا تمام بلغ في ذلك ما لم يبلغه شاعر آخر ، لكثرة قراءاته وتدارسه لأشعار العرب ، ولأثر العصر الذي عاش في ظلّه بما انطوى عليه من مؤثرات حضارية وفكرية وسياسية في نفسه .

وقد شكل الغريب مظهرًا مهمًا من مظاهر ثقافة أبي تمام اللغوية ، وقد حظي هذا الجانب عنده باهتمام جمهرة كبيرة من العلماء الذين تناولوا شعره بالنقد قديمًا وحديثًا . حاول الأمدي (ت ٣٧٠ هـ) تحليل هذه الظاهرة عنده بقوله : ((ومع ذلك فإن أبا تمام تعتمد أن يدلّ في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ، فيعمد لإدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره))^(١٢) .

أما القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) فقال في معرض الحديث عن أثر الأعراب في لغة الشعر : ((وربما كان ذلك سببًا لطمس المحاسن ، كالذي نجده كثيرًا في شعر أبي تمام ، فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه ، فحصل منه على توعر اللفظ ، فقبح في غير موضع من شعره ، فقال :

فَكَأَنَّما هِيَ فِي السَّماعِ جَنادِلٌ وَكَأَنَّما هِيَ فِي القُلُوبِ كَواكِبُ

فتعسف ما أمكن ، وتغلغل في التصعب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب البديع ، فتحمله من كل وجه وتوصل إليه بكل سبب ، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة وقصد الأغراض الخفية ، فاحتمل فيها كلّ غثّ ثقيل ...))^(١٣) .

أما ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) فقال عنه : ((فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ ، وما يملأ الأسماع منه ، مع التصنيع المحكم طوعًا وكرهًا ، يأتي للأشياء من بُعد ، ويطلبها بكلفة ، ويأخذها بقوة))^(١٤) .

وعلى ناقد محدث شغف الشاعر بالغريب والحوشي من الألفاظ بهيامه بالغريب من المعاني التي يُحتاج في تفهّمها إلى تأمل ومشقة ، ولذلك تراه يغطي مقاصده بشيء من الإبهام^(١٥) .

ولعل الأمدي كان من أكثر هؤلاء النقاد تحاملاً وقسوة على أبي تمام ، فقد عقد فصلًا كاملاً في كتابه (الموازنة) للحديث عن وحشي الألفاظ في شعره ، عاب فيه استعماله الغريب في بعض أشعاره . من ذلك قوله : ((وأما قول عمر رضي الله عنه في زهير : (إنه كان لا يتتبع حوشي الكلام) ، فإن أبا تمام كان لعمرى يتتبعه ، ويتطلبه ويتعمد إدخاله في شعره ، فمن ذلك قوله :

أهيسُ أليسُ لَجَاءٍ إلى هِمَمٍ تُغَرِّقُ الأسدَ في آدِيهَا اللبِيسَا

ويروى (أهيس ، أليس) ، والأهيس : الجاد ، وهذه الرواية أجود وهي مثل :

إحدى لياليك فهيسي هيسي .

والهلاس : السُّلال من شدة الهزال ، فكان قوله : (أهيس) يريد خفيف اللحم ، والأليس : الشجاع البطل الغاية في الشجاعة ، وهو الذي لا يكاد يبرح موضعه في الحرب حتى يظفر أو يهلك ، فهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، ولم يقع بـ (أهيس أليس) حتى قال في آخر البيت : (اللبِيسَا) يريد جمع : أليس))^(١٦) .

وكان ابن الأثير أيضاً قد عاب أبا تمام لاستعماله لفظتي (اطلخم) و(دهاريسا) في

القصيدة نفسها :

قَد قُلْتُ لَمَّا اِطْلَخَمَ الأَمْرُ وَأَنْبَعَثَتْ عَشَوَاءُ تَالِيَةً غُبْنًا دَهَارِيسَا

فقال : ((فلفظة (اطلخم)^(١٧) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في

أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة (دهاريس)^(١٨) أيضاً))^(١٩) .

ومهما يكن من أمر فإن تناول قضية الغريب في شعر أبي تمام على هذا النحو لا يخلو من تحامل ومغالاة ، وبخاصة من قبل الأمدي ، فإن أبا تمام على الرغم من تعاطيه الغريب في شعره إلا أنه لم يبلغ فيه الحد الذي يجعل منه ظاهرة تتحدد على أساسها اتجاهات هذا الشاعر الفنية ، ثم إن تعاطي الغريب في عصر الشاعر يعد مسلكاً مالوفاً من الشعراء ، فقد نقل أبو الفرج عن أحد معاصري السيد الحميري (ت ١٧٠ هـ) قوله : ((كنا كثيراً ما نقول للسيد، ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تُسألُ عنه كما يفعل الشعراء ؟))^(٢٠)، ولسنا ننكر أن ((الحوشية والغرابية عيوب تدخل على لغة الشعر فتفقدتها التناسق والتسلسل وحسن التأنى والرونق ، لأنها تعوق تيار الفهم المتدفق ، وتقف في طريقه عثرات ، فينقطع السيل المتصل ، ويفقد الشعر عندئذٍ^(٢١) بعض بهجته وأثره))^(٢٢) ، وهي من أجل ذلك سبب من أسباب تخلف الشاعر وغموض شعره ، وهذا أمر ليس بوسع أحد أن ينكره ، إلا أنه لا يمكننا تعميمه وإطلاقه على جميع الشعراء وعلى استعمالاتهم كلها ، وربما كان أقرب إلى الصواب القول : إن الغاية من استعمال الغريب وطريقة ذلك الاستعمال هما الأمران اللذان يحددان وجه الصواب في مثل هذه القضية ، وفيما يتعلق بأبي تمام خاصة ، فإنه يمكننا القول باطمئنان : إنه كان يأتي بالغريب في شعره ، وهو عارف بما يفعل ، أليس هو القائل في قطعة له هجا بها أحد متعاطي الشعر في زمنه^(٢٣) :

وَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

وبمعنى آخر فإن هذا الشاعر كان يستعمل الغريب ، ليعبر عن معان ما كان بوسعه أن يعبر عنها لو أنه عدل عنها إلى ألفاظ أخرى أكثر ألفة ، ولناخذ على سبيل المثال استعماله لفظة (سُجْرَائِي) في قوله^(٢٤) :

فَدَكَ اِتَّيَّبَ اُرْبَيْتَ فِي الْغُلُوَاءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي

فقد كان بوسعه أن يعدل عنها إلى لفظ آخر أكثر ألفة ، إذ إنها تعني الأصحاب والأصدقاء ، ولكن كما يبدو فإن أبا تمام أثر استعمالها ، لأن فيها معنى أراد أن يعبر عنه من غير تطويل ، فهي تعني الصاحب المملوء محبة لصاحبه ، غير أن ذلك لا يعني أننا ننكر أن الكثير من ألفاظه الحوشية ربما استوقفنا وجعلتنا نسأل عن مراده وقصده ، وربما ذكرتنا بشعراء الأراجيز وشعراء البدو ، إلا أن سبيله في استعمال الكثير منها غير سبيلهم ، وهذا ما فات النقدة من العلماء الذين تناولوا شعره بالنقد ، فقد حاول هؤلاء العلماء تفسير ظاهرة الغريب في شعر هذا الشاعر بالإحالة على مجموعة من القواعد المقررة عن فصاحة اللفظ وشروطها ، وكان الأحرى بهم أن يفسروا هذه الظاهرة في ضوء قوانينها الخاصة بها ، والتي تفهم على أساسها ، وحينئذ يصح القول : ((إن الأمر يتعلق بتجديد الرابطة مع ذخائر اللغة))^(٢٥) ، وإنه عودة جديدة في عصر هذا الشاعر إلى استكشاف تلك الذخائر ، للتعبير عن معان جديدة ضاقت بها دائرة اللغة المستعملة ، ومما له صلة بموضوع الغريب في شعره ، استعماله ألفاظاً عدّها العلماء من ألفاظ العامة ، ونحن بدورنا لا نستطيع أن ندفع عن أبي تمام تهمة استعماله ألفاظاً غير شعرية ، وهي قليلة لا تكاد تشكل ظاهرة عامة في شعره ، غير أننا أيضاً يمكننا القول باطمئنان في الكثير من المواطن التي استعمل فيها هذه الألفاظ إنه كان عارفاً بما يفعل ، وإنه ، أي : أبا تمام ، كان يستند في ذلك على مخزون ثقافي ومعرفة لغوية وأدبية ثرّه ، فقد عيب عليه استعمال لفظتي (التين والعنب) في قوله :

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ أَجْسَادُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التَّيْنِ وَالْعِنَبِ

قال الصولي : ((فإن كان هذا لأن التين والعنب ليس مما يذكر في الشعر ، وأنه مستهجن ، فقد قال ابن الرقيات :

سَقِيًّا لِحُلُوانِ ذِي الْكُرُومِ وَمَا صَنَّفَ مِنْ تَيْنِهِ وَمِنْ عِنَبِهِ

وأنشد الفراء في مدّ العنب :

كَأَنَّهُ مِنْ ثَمَرِ البَسَاتِينِ العِنْبَاءُ الْمُتَنَقَّى وَالتَّيْنِ

وإن كان العيب لم خصهما من دون غيرهما ؟ فقد كان يجب أن يتعلم هؤلاء أولاً ويطلبوا ، ثم يتكلمون ويعيبون))^(٢٦) .

ومما عدّه الأمدى من مذاهب العامة استعمال أبي تمام لفظتي (صلف) و (وتلهوق) في قوله واصفاً الفرس :

ما مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَّانٌ مِنْ صَلْفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٌ

فقد علق على هذا البيت يقوله : ((قوله : (ملآن من صلف) يريد : التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : (قَد صَلَفَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا) إذا لم تحظ عنده ، و (صَلَفَ الرَّجُلُ) كذلك إذا كانت زوجته تكرهه ... و (الصَّلْفِ) : الذي لا خير عنده ... و (التلهوق) : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ... وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في الغريب المصنف في أول نواذر الأسماء (التلهوق) : هو مثل التملق ، وما أرى أبا تمام في وضع هاتين اللفظتين إلا غلطاً)) (٢٧) .

وما من غلط في حقيقة الأمر ، وإنما هو تطور طبيعي في الدلالة ، يحدث في كل اللغات الحية ، ولعل سلوك الشاعر مع هاتين اللفظتين ومع غيرهما من الألفاظ والتراكيب التي عُدَّت من عيوبه ، يمثل في واقع الأمر وجهاً من وجوه تعامله مع مستوى التطور الذي بلغته اللغة في عصره .

والى جانب الغريب أفرزت ثقافة أبي تمام العامة ظاهرة أخرى في شعره ، وهي إقحام ألفاظ العلوم ومصطلحاتها فيه ، ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن مقصورة على شاعر بعينه في هذا العصر ، بل كانت ظاهرة عامة شائعة إلى الحد الذي جعل ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ينيبه عليها وينصح الناشئة من الشعراء والكتاب بتجنبها (٢٨) .

وفيما يتعلق بابي تمام خاصة ، فإن جماعة من العلماء قد تعقبوا عليه هذه الألفاظ وأثبتوا أمثلة منها ، فقد عاب ابن سنان الخفاجي (٢٩) على سبيل المثال أبا تمام لاستعماله ألفاظ المتكلمين في قوله :

مَوَدَّةٌ ذَهَبَ أَثْمَارُهَا شُبَّةٌ وَهَمَّةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفٌهَا عَرَضٌ

و (الجوهر والعرض) من ألفاظ المناطقة وأهل الكلام ، كما هو معروف ، وعابه أيضاً لاستعماله ألفاظ النحاة في قوله واصفاً الخمرة :

خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَابُهَا كَتَلَعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ

ويعيننا هنا أن نشير إلى أن أبا تمام قد تتقف ثقافة عقلية وافية ومتنوعة ، وأنه أفاد منها واستوعبها ، وحاول التعبير عنها من خلال شعره ، وهو شيء جديد حقاً ، وجد فيه الشاعر عناصر تساعد في بناء منهج في الشعر كان هو رائده (٣٠) ، وعرف به قديماً وحديثاً ، ونلمح في هذا النهج انعكاساً لبعض الفلسفات التي تتفها الشاعر ، كفلسفة التغيير اليونانية

ومؤداها أن صراع الأضداد هو الشيء الوحيد الذي لا يفسد ، وان القانون الذي يحكم هذا الصراع هو التغيير وعدم الثبات والتجدد المستمر^(٣١) ، وبناءً على ذلك فإن الكشف عن المعاني الجديدة وتوليدها يجد مسوغاً في الطبيعة الجدلية التي تحكم منطق الأشياء^(٣٢) ، ولذلك فإن أبا تمام الذي وقف على هذه الثقافة وتعلمها حاول أن يستغل كل ما يمكن أن توفره ثقافته اللغوية ومعرفته بالفنون البلاغية ، ولاسيما الطباق والمقابلة من إمكانات في هذا الاتجاه ، وذلك نحو قوله في مدح أحمد بن أبي دواد^(٣٣) :

قَدْ بَنَيْتُمْ غَرَسَ الْمَوَدَّةِ وَالشَّحْـ
نَاءٍ فِي قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادِ
أَبْغَضُوا عِزَّكُمْ وَوَدَّوْا نِدَاكُمْ
فَقَرَّوْكُمْ مِنْ بَغْضَةٍ وَوَدَادِ

فقد بنى الشاعر صورته في هذين البيتين على الطباق ، ليعبر من خلال تضاد عناصرها عن معناه بصورة أكثر وضوحاً .

وعلى الرغم من حرص الشاعر على تحقيق مستوى الصواب الأمثل في الاستعمال اللغوي ، فإن شعره لم يسلم من بعض الهفوات ، فنبه إليها العلماء الذين تناولوا شعره بالنقد ، فما أخذ عليه على سبيل المثال :

مجانبته الصواب في استعمال (بين) في قوله :

وَمَشْهَدٌ بَيْنَ حُكْمِ الذَّلِّ مُنْقَطِعٌ
صَالِيهِ أَوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ

قال الأمازي : ((فقوله : (بين حكم الذل) ، لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصلحت فيها (بين) ، غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ، فكما لا يقال : بين العز ، فكذلك لا يقال بين حكم العز ، حتى يقال هذا ، لأن (بين) إنما هي وسط بين شيئين ، فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلي بها ، فكأنه ذهب بقوله (بين) إلى معنى (وسط) ، أي : ومشهد وسط حكم الذل . قيل : (وسط) لا يحل محل (بين) ، و (بين) لا يحل محل (وسط) ، لأنك تقول : (البئر وسط الدار) ، ولا تقول : (البئر بين الدار) ((^(٣٤) .

ومما عدوه من أخطائه أيضاً إدخاله الألف واللام في (طوس) ، وهي اسم بلدة معروفة في قوله^(٣٥) :

شَامَتَ بُرُوقَكَ آمَالِي بِمِصْرَ وَلَوْ
أَضْحَتَ عَلَى الطُّوسِ لَمْ تَسْتَبِعِدِ الطُّوسَا
وأخذ عليه أيضاً استعماله حرف الاستفهام (هل) ، مسبوقةً بالواو ومقروناً بالفعل المضارع على إرادة التقرير في قوله :

رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي
مِنَ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضَا مَن لَهَ الْأَمْرُ

قال الأمدى : ((فقله في البيت : (وهل أَرْضَى) تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضى ، كما يقول القائل : (وهل يمكنني المقام على هذه الحال ؟) أي : لا يمكنني ... فقله : (وهل أَرْضَى) إنما هو نفي للرضا ، فصار المعنى : ولست أَرْضَى إذا كان الذي يسخطني ما فيه رضا من له الأمر ، أي : رضا الله تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش))^(٣٦) .
ومهما يكن من أمر فإن مثل هذه الأمثلة قليلة في شعر أبي تمام ، ولا تقدر في شخصية قائلها أو في عمله ، وهو بعد ذلك يبقى علماً من أعلام الشعر العربي ، وقمة من قممه الشامخة .

الهوامش وقائمة المصادر

- (١) كتاب المحبر ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق : د. ايلزة ليختن ، الناشر المكتب التجاري ، بيروت ، د. ت ، ٢٦٥ .
- (٢) ينظر : البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ١ / ١٩ .
- (٣) ينظر : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، الناشر : المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ١ / ٢١١ - ٢١٢ .
- (٤) جاء في طبقات النحويين واللغويين ، لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ١ ، ١٩٥٤ م القاهرة ، ١ ، ما نصه : ((ولم تزل العرب تنطق على سجيبتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا عليه إرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة المنفرقة ، واللغات المختلفة ، فنشا الفساد في اللغة العربية)) .
- (٥) علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، الناشر : مكتبة نهضة مصر ، ط ٤ ، ١٩٥٧ م ، ٦٣ .
- (٦) المصدر نفسه ٦٣ .
- (٧) المصدر نفسه ٦٣ .
- (٨) ينظر في تفصيلات ذلك : المصدر نفسه ٦٧ وما بعدها .
- (٩) المتبني والمشكلة اللغوية ، صاحب أبو جناح ، مقال منشور بمجلة المورد ، م ٦ ، ع ٣ لسنة ١٩٧٧ ، ٢٦ .
- (١٠) قال الأمدي عن أبي تمام في كتابه الموزانة ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : المكتبة العلمية بيروت ١٩٤٤ م ، ٥١ - ٥٢ : ((وكان أبو تمام مشتهرا بالشعر مشغوقا به ، مشغولا مدة عمره بتبحره ودراسته ... وله كتب اختيارات مؤلفة معروفة ... تدل على عنايته بالشعر ، وإنه اشتغل به وجعله وكده واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وإنه ما فاتته كبير شيء من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه)) .
- وجاء في كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، تحقيق : د. محمد عبدة عزام ، و خليل محمود عسكر ، طبعة : دار الآفاق الجديدة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ١١٨ ، أن الحسن بن رجاء قال : ((ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام)) .
- (١١) جاء في كتاب خزنة الأدب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، طبعة : بولاق ، ١ / ٤ ، أن الزمخشري قال عنه : ((وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه)) .
- وقال الصولي شارح ديوانه : إنه ((شاعر قوي في علم اللغة وأيام العرب وأخبارها وأمثالها)) .
- ينظر : ديوان أبي تمام ، تحقيق : د. خلف رشيد نعمان ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٧ م ، ١ / ٤٦٩ .
- (١٢) الموزانة ٢٥ .
- (١٣) الوساطة بين المتبني وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ١٩ .

- (١٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م ، ١ / ١٣٠ .
- (١٥) أمراء الشعر العربي ، أنيس المقدسي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٣٦ م ، ١٦٠ - ١٦١ .
- (١٦) الموازنة ، ٢٦٤ .
- (١٧) (اطلخم) : اظلم واستحال .
- (١٨) (الدهاريس) : الدواهي .
- (١٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، طبعة ، ١٩٣٩م ، ١ / ١٦٤ .
- (٢٠) الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ٧ / ٢٦٨ .
- (٢١) كذا في المطبوع ، والصواب (حينئذ) .
- (٢٢) تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ، د . محمد زغلول سلام ، طبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م ، ٥٩ .
- (٢٣) شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحقيق: د.خلف رشيد نعمان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م ، ٣ / ٨٦ .
- (٢٤) المصدر نفسه ، ١ / ١٧٧ .
- (٢٥) المنتخب مالئ الدنيا وشاغل الناس ، مطبوعات وزارة الثقافة والأعلام العراقية ، ١٩٧٩م ، ٢٣٣ .
- (٢٦) أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق : محمد عبدة عزام وآخرين ، دار الآفاق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م ، ٣٠ - ٣١ .
- (٢٧) الموازنة ، ٢١٩ ، والبيت في : ديوانه ، ٢ / ١٠٠ .
- (٢٨) أدب الكاتب ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٦٣ ، ٣ - ٤ .
- (٢٩) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : عبد المعتال الصعيدي ، مطبعة : محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ١٥٩ ، والبيتان في ديوان أبي تمام ، ٣ / ٥١٤ ، ١ / ١٨٣ على التتابع .
- (٣٠) قال أبو بكر الصولي عن أبي تمام في كتابه أخبار أبي تمام ، ٣٧ : ((هو رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه حتى قيل : مذهب الطائي)) .
- (٣١) ينظر الفكر اليوناني قبل افلاطون ، د . حسين حرب ، دار الفارابي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ٣٥ ، وتاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة اليونانية) ، د . محمد علي أبو ريان ، مطبعة الشاعر ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٧٢ م ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ .
- (٣٢) جدلية أبي تمام ، د . عبد الكريم اليافعي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ٦٤ .
- (٣٣) ديوانه ، ١ / ٣٧٩ .
- (٣٤) الموازنة ، ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ٢٩ - ٣٠ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، ١٩٠ .